مجلة دراسات بيت المقدس، 2019، 19(1): 81–98
DOI: 10.31456/beytulmakdis.481647

جهود المماليك في العمل الوقفي بمدينة بيت المقدس

فايز إبراهيم الزاملي*

ملخص: تعد فلسطين أنموذجاً إسلامياً عريقاً في أوقافها من بين الدول العربية والإسلامية، ومدينة بيت المقدس تعد لؤلؤة وقفية من بين المدن الفلسطينية. وحظيت الأوقاف في بيت المقدس باهتمام المسلمين على مدار العصور الإسلامية، ولكن تميز الاهتمام بها في عهد المماليك ومن سلاطينهم وأمرائهم، فقاموا بتعيين من يشرف عليها ويعمرها ويحميها، ويقوم بضبط مصروفاتها وواردتها وإنتاجها، كما دأب الكثير من السلاطين على زيارة المدينة المقدسة وتفقد أحوالها والتبرع لأهلها وإقامة المنشآت وتعميرها، وجرت العادة في هذا العهد أن يرسل السلطان كاشفاً لينظر في أحوال أوقافها. وقد لعبت هذه الأوقاف أدواراً مهمة ومتميزة في كل مناحي الحياة، سواء العلمية والاجتماعية والصحية وغيرها؛ فعلى مستوى الحياة العلمية برز دور المدارس والمكتبات والكتاتيب والخوانق والزوايا والربط، فأصبحت المدينة في ذلك العصر مركزاً علمياً ومنارة مهمة، نتيجة لانتشار المؤسسات العلمية والخيرية بما فيها المدارس التي حظيت باهتمام الحكام والسلاطين والأمراء، وحظيت بدعم كبير من أهل البر والتجار الذين جادوا بأموالهم ووقفوا عقاراتهم التي خصصت لأعمال الخير والإنفاق على طلبة العلم وعلى الفقراء والتكايا.

الكلمات المفتاحية: المدارس، الزوايا، التكايا، الربط، الأسبلة، سلاطين المماليك، المسجد الأقصى، الوقف.

The efforts of the Mamluks in the Waqf Establishment in Bayt al-Maqdis

ABSTRACT: *Palestine is considered as an outstanding Islamic model for its Awqaf amongst Muslim and Arabic countries in general, whereas the city of Bayt al-Maqdis may be considered the archetype for Palestinian cities. Muslims have paid much attention to the Awqaf in Bayt Al-Maqdis throughout the centuries, which had evolved during the Mamluk period, with its Sultans and Emirs appointing supervisors and custodians to protect and restore them. This is besides keeping records of the expenditures, income and produce. Many of the Mamluk Sultans had frequently visited the holy city, and were so generous in giving its people gifts and donations as well as establishing new Waqf institutions and restoring ones. In addition to appointing supervisors to check-up the affairs of these Awqaf. The Awqaf have indeed played an important role in every aspect of life in the city; social, health, scholarly, etc. On the scholarly front, schools, libraries, soup kitchens, Zawiyah, Khanqah, and Ribat were established; turning Bayt al-Maqdis into an important scholarly centre during the Mamluk era. With these institutions and the interest of the Sultans and Emirs it and the support of merchants amongst others who were generous with their wealth and properties dedicating them to these Awqaf, thus creating a steady income for the students and the poor benefiting from these institutions.*

KEYWORDS: *Madrasah, Zawiyah, Tekyeh, Ribat, Sabil, Mamluk Sultans, Waqf.*

* رئيس قسم الوعظ والإرشاد –وزارة الأوقاف والشؤون الدينية – غزة.

مقدّمة

بلغ نظام الوقف في فلسطين في العصر المملوكي درجة كبيرة من النضج والاكتمال، إذ اختار كثير من السلاطين والأمراء والتجار وغيرهم المشاركة بجزء من ثرواتهم للنهوض بالمجتمع، فأقاموا المؤسسات المتنوعة في بيت المقدس وحبسوا عليها الأوقاف، وارتبط كل وقف بحجة شرعية توضح أركانه والغرض منه؛ مما يؤكد أن المدينة المقدسة هي مثال المدينة الوقفية في العالم أنها مهبط سماوي ومحل للرحمات والبركات، وفيها من أوقاف المسلمين وغير المسلمين. وبذلك غدت الأوقافُ الدعامة الكبرى للخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية والدينية، وكان لبيت المقدس –نظراً لمكانتها الدينية– نصيبٌ وافر من اهتمام السلاطين في مجال الأوقاف.

لذلك من واجب الأمة الإسلامية أن تحافظ على هذا التراث الخالد. ومن هنا جاء هذا البحث ليلقي الضوء على أهمية الأوقاف في عهد المماليك في مدينة بيت المقدس في ظل الهجمة الصهيونية لتهويد بيت المقدس، وقد تطرقت في هذا البحث لتعريف الوقف ودليل مشروعيته والحكمة منه، وقد خصصت جزءا منه لدور سلاطين المماليك في الحفاظ على الأوقاف في بيت المقدس وقدسية المسجد الأقصى المبارك ومكانة المسجد الأقصى لدى سلاطين المماليك، واستعرضت فيه دور الاوقاف في الحفاظ على المؤسسات التعليمية من زوايا ومدارس وربط ومكتبات وعرجت فيه على الحالة الاجتماعية في تلك الحقبة.

وقد اشتمل البحث بعد المقدمة على أربعة مباحث ونتائج وخاتمة، أما المبحث الأول فقد تناول تعريف الوقف ودليل مشروعيته والحكمة منه، وتحدث المبحث الثاني عن اهتمام المماليك بالمسجد الأقصى وأوقاف بيت المقدس، وأما المبحث الثالث فقد أثار دور الأوقاف في الحياة العلمية في العهد المملوكي بيت المقدس، في حين تحدث المبحث الرابع عن دور الأوقاف في الحياة الاجتماعية في العهد المملوكي ببيت المقدس.

تعريف الوقف ودليل مشروعيته والحكمة منه

تعريف الوقف لغةً واصطلاحاً

الوقف لغةً: مصدر بمعنى الحبس أو المنع، وهو وقف الشيء أي حبسه، ومنه وقف الأرض على الفقراء والمساكين؛ "أي حبسها". قال ابن منظور: "ووقف الأرض على المساكين، وفي الصحاح للمساكين، وقفاً: حبسها، ووقفت الدابة والأرض وكل شيء".[1] ويُطلق الوقفُ ويُراد به الموقوف، ويُجمع على أوقاف ووقوف.[2] يدور المعنى اللُّغوي للوقف على حبس العين لله وجعل ريعه لجهة خيرية، وهو يشبه المعنى الاصطلاحي إلى حد كبير. **أما الوقف في الاصطلاح:** عرف الفقهاء الوقف بتعريفات متعددة، نكتفي

منها بتعرفين هما؛ الحنفية: اختلف الحنفية في تعريف الوقف، فذهب الإمام أبو حنيفة إلى أنه: "حبس العين على حكم ملك الواقف والتصدق بالمنفعة ولو في الجملة"،[3] بينما ذهب الصاحبان إلى أنه حبس العين على حكم ملك الله تعالى وصرف منفعتها على من أحب.[4] أما الشافعية: "حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح".[5]

مشروعية الوقف

اختلف الفقهاء في مشروعية الوقف على قولين: القول الأول إن الوقف جائز شرعاً في كل شيء ينتفع به ويجوز فيه الملك، وهو قول: الصاحبين[6] والمالكية[7] والشافعية[8] والحنابلة.[9] القول الآخر: إن الوقف غير جائز مطلقاً، وهو قول الإمام أبي حنيفة وزُفر[10] وابن مسعود، وابن عباس.[11] الراجح هو ما ذهب إليه أصحاب القول الأول القائلون بجواز الوقف، وذلك للأسباب التالية:

1. قوة أدلتهم وثبوتها، حيث استدلوا بالآيات والأحاديث والآثار الصريحة التي تجيز الوقف.
2. ما ذهب اليه جمهور الفقهاء، فهو لا يخرج عن الصدقة المندوبة، وقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة في عموم الصدقات المندوبات، وأوقاف رسول الله وصحابته الكرام مشهورة.
3. استدلال مخالفيهم بالآيات لا دلالة فيها على إبطال الحبس والمنع منه؛ لأنها إنما تقتضي التوبيخ على ما كانت الجاهلية تحرمه على أنفسها من أنعامها تشرعاً وتديناً وافتراءً على الله، واتباع خطوات الشيطان، فليس ذلك مما يحبسه الرجل على ولده أو في وجهٍ من وجوه البر التي يتقرب بها إلى الله بسبيل.
4. استدلال مخالفيهم بالسنة لا دليل فيه، ولا حجة، لأن الحبس الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بإطلاقه، هو البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام الذي ذكره الله في كتابه، والدليل على ذلك: أنه المذكور في سورة المائدة، وهذا التأويل مروي عن مالك-رحمه الله-.
5. استدلال مخالفيهم بالأحاديث الضعيفة ومنها حديث ابن عباس (لا حبس عن فرائض الله): حديث ضعيف كما قال الدارقطني.[12]

الحكمة من مشروعيه الوقف

الوقف مشروع بالكتاب، والسنة، والإجماع، ويعتبر من القرب التي يثاب عليها المؤمن، وهذا الوقف له حكم وأهداف كثيرة:

1. تحقيق منافع معيشية واجتماعية وثقافية مستمرة ومتجددة في أزمنة متلاحقة، وذلك من خلال وقف الحانات "الفنادق" والسقايات والمستشفيات ودور العجزة، والمساجد والكتب ونحوها.[13]

2. تحقيق كثير من المصالح الإسلامية، فإن أموال الأوقاف إذا أُحسن التصرّف فيها كان لها أثر كبير وفوائد جمّة في تحقيق كثير من مصالح المسلمين؛ كبناء المساجد، والمدارس، وإحياء حلق العلم، وإقامة الشعائر مثل الأذان والإمامة، وغيرها من المصالح الدينية.
3. الصدقة الجارية تتجلى بأروع صورها في الوقف، وما يكفله من استمرارية المنفعة وشمولها.[14]
4. تنظيم الحياة بمنهج التكافل الاجتماعي المتوازن، الذي يقوي الضعيف، ويعين العاجز، ويحفظ حياة المعدمين، ويرفع حياة الفقير والمحتاج واليتيم.
5. فتح باب التقرّب إلى الله تعالى في وقف المال في سبيل الله وتحصيل المزيد من الأجر والثواب، فليس شيء أحبَّ إلى المؤمن، من عمل خير يقربه إلى الله تعالى، ويزيده حّباً فيه.[15]
6. تحقيق رغبة المؤمن أيضاً في بقاء الخير جارياً بعد وفاته، ووصول الثواب منهمراً إليه، وهو في قبره، حين ينقطع عمله من الدنيا، ولا يبقى له إلا ما حبسهُ ووقفهُ في سبيل الله حال حياته، أو كان سبباً في وجوده من ولد صالح، أو علم يُنتفع به.[16] ولذلك جاء في الحديث عن أبي هريرة–رضي الله عنه–، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–قال: "**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**".[17]
7. استمرارية المنفعة للموقوف عليهم وفي ذلك يقول الدهلوي: "ومن التبرعات الوقف وكان أهل الجاهلية لا يعرفونه، فاستنبطه النبي–صلى الله عليه وسلم–لمصالح لا توجد في سائر الصدقات، فإن الإنسان ربما يصرف في سبيل الله مالا كثيراً، ثم يفنى، فيحتاج أولئك الفقراء تارة أخرى، ويجيء أقوام آخرون من الفقراء، فيبقون محرومين، فلا أحسن ولا أنفع للعامة من أن يكون شيء حبساً للفقراء وأبناء السبيل تصرف عليهم منافعه، ويبقى أصله على ملك الواقف".[18]

اهتمام المماليك بالمسجد الأقصى وأوقاف بيت المقدس

مكانة المسجد الأقصى لدى المماليك

حظي المسجد الأقصى برعاية المماليك وتنافسوا في إعماره، والإنفاق عليه، ورعاية شؤونه، ودعم سلطتهم الدينية فيه، وكانت عنايتهم به ورعايتهم له، ليكون مهد الحياة الدينية والعلمية والفكرية، ومحط رحال العلماء والفقهاء وطلبة العلم، وقد تبوأ الأقصى في تلك الفترة مركز الصدارة، ليس في الشام فحسب، بل في مختلف أنحاء المعمورة، وبالفعل غدا المسجد الأقصى من أهم المساجد التي عني بها المماليك كونه من المساجد المقدسة وحتى يظهروا بصورة الحامي للإسلام ومقدساته.

وهكذا غدى المسجد الأقصى جامعة إسلامية عظيمة الشأن تمثل قدرة المسلمين على الإبداع والإعمار، وإشادة بنيان حضارة فريدة، وظل المسجد الأقصى يقوم برسالته العلمية والدينية في الفترة

المملوكية. إن فضائل المسجد الأقصى كفيلة بأن تجعل سلاطين المماليك يتسابقون في خدمة وإعمار المدينة المقدسة عامة، والمسجد الأقصى خاصة، حيث أسهم المماليك إسهامات عظيمة في ذلك.

مظاهر اهتمام سلاطين المماليك بالمسجد الأقصى

لم يدخر سلاطين المماليك وسعاً في العناية بالمسجد الأقصى (الحرم القدسي الشريف) وقبة الصخرة المباركة سواء بالإضافة أو الاصلاح أو الترميم، هذا فضلا عن عنايتهم الكبيرة بإقامة المنشآت الدينية والعلمية والخيرية والاجتماعية كالحمامات في مدينة بيت المقدس، لتوفير أسباب الحياة الطيبة لأهلها. **ومن أمثلة هذه العناية** جهود السلطان الظاهر بيبرس حيث بعث الصناع والآلات لعمارة قبة الصخرة المشرفة بعد أن هدمت، فتم اصلاحها[19] وفي سنة 661هـ سار السلطان بنفسه إلى بيت المقدس وكشف أحوال البلد وما يحتاج إليه المسجد من العمارة ونظر في الأوقاف وكتب بحمايتها ورتب برسم مصالح المسجد في كل سنة خمسة آلاف درهم.[20] فالظاهر بيبرس اهتم كثيراً بالمقدسات الاسلامية في فلسطين وخاصة قبة الصخرة في بيت المقدس، ففي سنة (659هـ /1261م) وأوقف السلطان عدة قرى من أعمال الشام والقدس، يصرف ريعها ثمن خبز لمن يرد إلى القدس من المشاة، كما قام بإنشاء خان وفرن وطاحون بالقدس لخدمة النازلين فيها.[21] وعندما كمل بناء الخان أوقف عليه قيراطاً ونصف من الطرة وربع قرية المشيرفة من قرى بصرى ونصف قرية لفتا من أعمال القدس.[22]

وفي سنة (707هـ/1307م) أوقفت قرية من معاملة القدس، يصرف ريعها في جامكية الخطيب والمؤذن ومصالح السقاية في القدس الشريف، كما أوقفت أحكار على الحرم الخليلي وعشرة حوانيت في سوق الليل معقودة بالحجر والجير ارتفاعها ستة أذرع بالعمل، ومعها بئر ماء عمقها أربعون ذراعاً، وقفت على السقاية بالقدس ولمنفعة المسلمين.[23] وبنى السلطان الظاهر بيبرس خاناً في بيت المقدس (662هـ/1236م) وأقيم هذا الخان خارج أسوار المدينة المقدسة، وهناك لوحة تأسيسية من الرخام ثبت عليها الظاهر بيبرس إنشاء هذا الخان. كما قام السلطان الظاهر بيبرس (658-676هـ/1260-1277م) بتجديد الزخارف الفسيفسائية التي تكسو الأقسام العلوية الواقعة في واجهات التثمينة الخارجية.[24]

أما السلطان المنصور قرون الصالحي الذي ولي السلطنة سنة 678هـ/1279م فقد عمر سقف المسجد من جهته القبلية مما يلي الغرب عند جامع الأنبياء، وله الرباط المنصوري المشهور بباب الناظر،[25] ثم جاء السلطان المنصور لاجين (696-698هـ/1296-1298م) ليجدد عمارة محراب داود الذي بالسور القبلي عند مهد عيسى عليه السلام بالمسجد الأقصى الشريف.

أما السلطان الناصر محمد بن قلاون فقد عمر في المسجد الأقصى السور القبلي الذي عند محراب داود عليه السلام ورخم صدر المسجد الأقصى، وفتح بالمسجد الشباكين اللذان عند يمين المحراب وشماله

وكان فتحهما في سنة احدى وثلاثين وسبعمائة، وجدد تذهيب القبتين، قبة المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وعمَّر القناطير على الدرجتين الشماليتين بصحن الصخرة، التي احداها مقابل باب حطة، والأخرى مقابل باب الدويدارية، وعمَّر باب القطانين بالبناء المحكم، وعمَّر قناة السيل الواقعة عند بركة السلطان، بظاهر القدس الشريف من جهة الغرب.[26]

ومن حسنات الملك الأشرف برسباي بالمسجد الأقصى المصحف الشريف الذي وضعه بداخل الجامع تجاه المحراب بإزاء دكة المؤذنين وكان هذا المصحف الكبير قد اهدي إلى السلطان برسباي سنة ست وثلاثين وثمانمائة أثناء مروره بدمشق وهو في طريقه إلى آمد (ديار بكر)، فأهداه بدوره إلى القدس الشريف وخصص له قارئاً وخادماً ووقف لذلك وقفا محدداً. وكذلك نجد أن السلطان الأشرف برسباي (825-841/1422-1437م) قد أمر بشراء الضياع والقرى ووقفها لرصد ريعها للنفقة على قبة الصخرة.[27]

وعندما اعتلى عرش سلطنة المماليك سنة اثنين وأربعين وثمانمائة (1438م) الملك الظاهر جقمق الذي اشتهر بالديانة والعفة والشجاعة ومحبة العلماء، فقد أنفق جقمق على الوقفين القدس والخليل بمبلغ ألفي دينار وخمسمائة ديناراً ذهباً وكذلك خصص مائة وعشرين قنطاراً من الرصاص برسم هذين الحرمين، إذ عمر سقف الصخرة المشرفة سنة 851هـ أثر حريق، وكذلك أضاف جقمق مصحفاً في قبة الصخرة وعين قارئاً،[28] لذا عرف عن سلاطين المماليك علو همتهم، وسرعة نجدتهم، وعظيم رعايتهم للمقدسات الاسلامية وكان دافعهم الأساسي حب التقرب إلى الله فالسلطان المؤيد شيخ زار بيت المقدس وفرق في أهله مالا جزيلا وصلى الجمعة، وجلس بالمسجد الأقصى بعد الصلاة وقرئ صحيح البخاري من ربعة. فرقت على من بين يديه من الفقهاء القادمين إلى لقائه من القارة ومن القدس.[29]

وفي سلطنة الظاهر برقوق (784-815هـ/1382-1412م) عُمِّرت دكة المؤذنين التي بالصخرة الشريفة تجاه المحراب وقد نقش عليها: "بسم الله الرحمن الرحيم، وجددت هذه السدة المباركة بالصخرة الشريفة في أيام مولانا السلطان الظاهر بن سعيد برقوق".[30]

ومن مظاهر اهتمام سلاطين المماليك بالمسجد الأقصى ايجاد وظيفة رئيس المؤذنين.[31] ومن المؤذنين الذين تولوا هذا المنصب: علي الدين سليمان بن علي الصدفي المقدسي (ت860هـ/1456م) رئيس المؤذنين في المسجد الأقصى،[32] أما شهاب الدين أحمد بن محمد الخليلي الشافعي (ت874هـ/1469م) فقد كان حسن الصوت في الآذان فاستقر في رئاسة الأذان بعد وفاة على الدين الصفدي،[33] وقال عنه مجي الدين: "ولم يبق بعده من هو في معناه من حسن الصوت في الأذان والمديح".[34]

أما السلطان الأشرف إينال الناصري فإنه عمر المسجد الأقصى في أيامه،[35] وخلال حكم السلطان الأشرف قايتباي (872-902هـ/1467-1497م) جدد بحمل الرصاص على ظاهر الجامع الأقصى وفك الرصاص القديم ثم ركب ولم يكن كالأول في حسن الصناعة والاتقان، وكان الصانع له رجلاً من أهل الروم ثم قصد ناظر الحرمين الأمير ناصر الدين بن النشاشيبي أن يفك الرصاص عن ظاهر قبة الصخرة ويجدده كما فعل بالجامع الأقصى فمنعه الشيخ جمال بن غانم شيخ الحرم وقام في ذلك أعظم قيام وكان توفيقاً من الله.[36]

ومن هذا العرض يتضح أن العناية بالمسجد الأقصى جاءت مصحوبة بحرص سلاطين المماليك على زيارة بيت المقدس بين حين وآخر للوفاء بمتطلبات المقدسات الاسلامية واستمرت هذه العناية بالمسجد الأقصى وقبة الصخرة وصيانتها طوال عصر سلاطين المماليك، وهذا يدل على مدى اهتمام السلاطين والأمراء المماليك بالمؤسسات الدينية ومدها بالمال والعمران، حت تؤدي وظيفتها على أكمل وجه فبفضلهم خرجت تلك المؤسسات الدينية جيلاً متديناً متسلحاً بالإيمان قادراً على مواجهة الصليبين والتتار.

دور الأوقاف في الحياة العلمية في العهد المملوكي بيت المقدس

المدارس

يعود تاريخ بناء المدارس بمعناها المتعارف عليه في بيت المقدس إلى أيام الأيوبيين ولكنهم لم ينشئوا منها أكثر من تسع مدارس، أما في عصر سلاطين المماليك فقد وصل عدد المدارس إلى سبع وأربعين مدرسة، منها أربعة وثلاثون في عهد سلاطين المماليك البحرية، وثلاثة عشر في عهد سلاطين المماليك البرجية، وقد انشئ معظم مدارس المماليك البحرية في القرن الثامن الهجري وخاصة في عصر الناصر محمد بن قلاوون وأولاده، أي في القرن الذي شهدت فيه بيت المقدس قمة ازدهارها العلمي.[37]

فقد ساهم الأمراء بجانبه سلاطين المماليك في إقامة هذه المدارس قربى إلى الله سبحانه وتعالى، كما اشتركت النساء الثريات في إقامتها في الفترة المملوكية فأقمن بالقدس وحدها ثلاث مدارس، كما تسابق الأعيان والأثرياء من مختلف البلدان الاسلامية القاصي منها والداني في انشاء المدارس والمؤسسات العلمية والدينية ببيت المقدس تبركا بهذه البلدة المقدسة. ولذلك فإن عدد بيوت الصوفية (الخانقاهات والربط والزوايا) التي كانت تدرس فيها علوم القران والحديث وغيرها فاق عدد المدارس. فكان في مدينة بيت المقدس منها نحو مئة.[38]

فالمساجد سواء في بيت المقدس أم في غيرها من المدن الاسلامية كان لها نشاط تعليمي استمر على مدى العصور، وقد تميزت بيت المقدس باحتوائها على المسجد الأقصى المبارك بما فيه الجامع الأقصى وقبة

الصخرة وجامع عمر وجامع المغاربة،[39] وغيرها من المصليات والجوامع، وقد أورد عارف العارف أسرار عدد من الجوامع غير الجامع الأقصى وقبة الصخرة بلغ اربعة وثلاثين جامعاً وقال أنّه رآها بنفسه.[40] ذلك أن المسجد الأقصى بالذات كان بجانب نشاطه الديني مركزاً ثقافياً وعلمياً كبيراً تشد إليه الرحال من البلدان الاسلامية المختلفة فانتقل إليه كثير من العلماء وطلاب العلم للمجاورة والتعلم، وقد ذكر ابن حجر ومجير الدين الحنبلي بعض حالات للجوار في المسجد الأقصى، مثال ذلك الشيخ أبو يعقوب المغربي الذي وفد من بلاد المغرب وأقام بالقدس الشريف وجاور وانقطع بالمسجد الأقصى حتى توفي عام 698هـ/1298م.[41] وقد أكثر بعض الناس من الجوار بالمسجد الأقصى، كما أكثر آخرون التردد عليه وعلى بيت المقدس حتى قيل إن أحد العلماء تردد عليها أكثر من ستين مرة وهو الشيخ شهاب الدين الظاهري المتوفى عام 755هـ/1354م؛ ولا شك أن هؤلاء العلماء المجاورين أو المترددين كانوا يفيدون طلاب العلم والناس عامة بما يلقونه من دروس أو محاضرات.

فالعلماء المقدسيين كانوا هم بأنفسهم وغيرهم يقومون بالخطابة بالمسجد الأقصى والتدريس والقضاء والافتاء ويعقدون أيضا حلقات أو مجالس دينية علمية لنشر التوعية الدينية بين الناس العاديين تسمى مجالس الوعظ،[42] كما كانوا يقومون بإلقاء دروس في شتى أنواع العلوم الدينية لطلاب العلم في المسجد الأقصى وكان يصرف لهم مال من الأوقاف.[43] كما كان هناك مدرسون متخصصون لتدريس أنواع العلوم الدينية لطلاب العلم في المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة، وكان بعض الأمراء يوقفون أوقافا كثيرة على مثل هذه الوظائف وغيرها، وعلى سبيل المثال أوقف الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الدوادار، منشئ الخانقاه الدوادارية، قرية (بير نبالا) بالقدس وقرية (حجلا) بأريحا، وفرن وطاحونة يعلوها دار بالقدس، ومصبنة وستة حوانيت ووراقة بنابلس، وثلاثة بساتين وثلاثة حوانيت وأربعة طواحين ببيسان، وقف ذلك كله الخانقاه المذكورة وعلى بعض النشاط العلمي بالمسجد الأقصى.

وفي العصر المملوكي استمرت العناية بالأقصى من قبل سلاطين المماليك من حيث تجديده وترميمه، إضافة إلى العناية بالعلوم المختلفة، كما كان بيت المقدس مشهوراً في هذه الفترة بعلمائه، وكان هؤلاء العلماء يحظون بتقدير السلاطين واحترامهم، الأمر الذي ساعد على تشجيع الحياة الفكرية، كما كان للعلماء والقضاة دور في تشجيع هذه الحركة من خلال انفاقهم على الطلبة.[44]

التنوع في تدريس العلوم

ذكر السخاوي أن الدراسة في مدارس بيت المقدس في عصر سلاطين المماليك اختلفت باختلاف المذاهب التي انشئت لتدريسها، فكل مدرسة تدرس الفقه الخاص بمذهبها، بالإضافة إلى بعض المدارس التي كانت مخصصة لتدريس علم بذاته، مثل دار الحديث، ودار القرآن، ومما يلفت النظر في مواقع هذه

المدارس أنها تركزت كلها في مكان واحد حول المسجد الأقصى أو بداخله، وكانت هذه المدارس متعددة الغايات فمنها مدارس لتعليم أمور الدين كالقرآن الكريم والحديث الشريف والفقه، ومنها مدارس لدراسة علوم الأدب وعلوم الصيدلة وعلوم الطب وغيرها.

وقد وصلت فكرة انشاء المدارس الدينية ذروتها في العهد المملوكي حيث عمل المماليك الذين أحبوا بيت المقدس حباً عظيماً، متمثلين بالسلاطين والأمراء والقضاة ورجالات الدولة المهمين والأثرياء الميسورين على بناء وتعمير المدارس الدينية والأربطة والزوايا في أروقة المسجد الأقصى وكذلك حوله من الجهتين الشمالية والغربية، ورتبوا الوظائف فيها وأوقفوا الأوقاف عليها لتقوم بتمويلها والصرف عليها.[45]

ومن هنا حرص سلاطين وأمراء المماليك على رصد الأوقاف الكثيرة على المؤسسات التعليمية للصرف عليها من أجل استمرار العمل بصورة منتظمة، مما جعل عصر سلاطين المماليك أزهى العصور الاسلامية كافة في مجال وفرة الأوقاف خدمة للعلم والتعليم.[46] فالأوقاف كانت بمثابة العمود الفقري للمؤسسات التعليمية والمدارس،[47] التي ثبتت أركان المدرسة، ودعمت نظامها، ومكنتها من القيام برسالتها، وكان الريع الذي تغله المصادر الموقوفة على المدرسة شهريا أو سنويا، نقداً أو عينياً هو الضمان لاستمرار العمل بالمدرسة حيث تدفع منه مرتبات أرباب الوظائف بالمدرسة والطلبة حسب شرط الواقف.[48]

الخوانق والربط

الخوانق (جمع خانقاه) هي كلمة فرسية معربة، ومعناها البيت، ثم أصبح المقصود بها المكان الذي يختلي فيه الصوفية وينقطعون فيه للعبادة، وقد تطورت وأصبحت نوعاً من المعاهد الإسلامية، وهي دور عبادة وعلم تقوم بأدوار مختلفة دينية وثقافية واجتماعية.[49] أما **الربط** (جمع رباط) هي في الأصل اسم للمكان الذي يرابط فيه الجنود لمجاهدة العدو وحراسة ثغور الدولة الاسلامية، وقد تحولت مع الوقف إلى أماكن للمتفرغين للعبادة، فكان ينقطع فيها من يرغب في التفرغ للعبادة، ويُجري عليها الواقفون الجرايات اليومية من غذاء وكساء.[50]

هذا بالإضافة إلى الدور الذي لعبته كلاً من الخوانق والربط في المجال التعليمي والثقافي، والتي تقوم بأدوار مختلفة دينية وثقافية، واجتماعية، لقد كانت هذه المعاهد مراكز علم حقاً فكانت تدرس فيها المذاهب الفقهية، كما يدرس الحديث الشريف النبوي والقراءات والتصوف، وغير ذلك من العلوم الشرعية وما يتصل بها بشكل خاص وكانت هذه المعاهد مراكز اقامة للوافدين أيضاً، ومن هنا يتبين لنا الدور الثقافي والاجتماعي الذي كانت تقوم به.

وقد بلغ عدد الخوانق في القدس التي انشئت في عهد المماليك في القدس وحدها ست خوانق.[51] أما أشهر اربطة القدس، رباط البعير وهو أقدم ربط القدس، ويقع بباب الناظر شمال الطريق المؤدية للمسجد الأقصى، أنشأه سنة (666هـ/1267م) الأمير علاء الدين أيدغدي، الذي كان ناظراً للحرمين الشريفين زمن الملك الظاهر بيبرس إلى أيام المنصور قلاوون، وأوقف عليه العديد من الأماكن في القدس الشريف.[52] والرباط المنصوري الذي يقع بباب الناظر أيضا إلى جنوب طريق باب الناظر المؤدية إلى المسجد الأقصى، أوقف عليه العديد من الأوقاف في القدس، وقد عدَّ هذا الرباط مدرسة من مدارس بيت المقدس،[53] وغيرها من الأربطة.

المكتبات في بيت المقدس

أما بالنسبة إلى مكتبات المدارس والزوايا، فإنه لا تكاد تخلو مدرسة أو زاوية في ذلك العصر من خزانة للكتب باعتبارها إحدى حوافز العلم، وقلّما أن تؤسس مدرسة من العصر المملوكي بوجه عام دون أن يحوي تصميمها المعماري خزانة تزود بالكتب المختلفة في علوم الدين، مما يدل على أن سلاطين المماليك وأمراء المماليك قد أدركوا أهمية الدور الذي تلعبه المكتبة، فخصصوا لها مكاناً في مدارسهم.[54] وكان من مكتبات المدارس الكبيرة في ساحات المسجد الأقصى: مكتبة المدرسة (الخانقاه) الفخرية التي وقفها القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله (ت 732هـ/ 1331م) وكانت هذه المكتبة غنية بمخطوطاتها الدينية والفلكية.[55] وكانت مكتبة المسجد الأقصى مكتبة عامرة بالكتب من المصاحف والكتب والمخطوطات، وقد حوت خزائنها ما يزيد على عشرة آلاف كتاب، وألف مخطوط نصفها مصاحف.[56]

وقد سار المماليك في العهد المملوكي على نهج الأيوبيين في محاربة التشيع، فأكثروا من بناء المدارس حتى عددها ما يقارب خمسين مدرسة في القدس وحدها، فقد وصلت القدس إلى أوج ازدهارها العلمي، وأسهمت عوامل متعددة في ذلك منها: الأمن والاستقرار والثراء.[57] وقد تسابق السلاطين والأمراء والمقتدرين لإقامة المنشآت العلمية والدينية والخيرية في بيت المقدس، لتوفير متطلبات الحياة الكريمة، لسكان بيت المقدس، فأقاموا عشرات الأبنية ووقفوا عليها الأوقاف الكبيرة فأصبحت بيت المقدس في العصر المملوكي قبلة العلماء والأدباء وطلاب العلم من المغرب والمشرق.[58]

وتشير الدراسات إلى أن من مدارس بيت المقدس تسع أسسها سلاطين، وزهاء ثلاثين أسسها الأمراء والحكام، وثلاث أسستها أميرات ونساء، وعشر أسسها تجار ووجهاء، وأربع أسسها رجال دين.[59] وقد أصبحت بيت المقدس بفضل المسجد الأقصى والمدارس محط رحال الكثيرين من العلماء والطلبة من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وكان المئات من الأساتذة يتلقون مخصصات مالية مجزية ويمنحون السكن المجاني، فضلاً عن المكانة الاجتماعية التي كان يتمتع بها المدرسون.

وقد فتحت أبواب المدارس للفقراء إذ عنيت الأوقاف بتدريسهم وأكلهم ومنامهم واستحمامهم ومعالجتهم، وأصبح العلم مشاعاً بين جميع الطبقات فانتشر وذاع وكثر القراء والمتعلمون، وقد أدى الإنفاق على المدارس إلى ازدهار الحياة الاقتصادية ببيت المقدس. وقد غدت بفضل وجود المدارس بهذه الكثرة فيها مركزاً علمياً وتعليمياً مرموقاً في العالم الإسلامي كله.[60]

دور الأوقاف في الحياة الاجتماعية في العهد المملوكي ببيت المقدس

الرعاية الاجتماعية: (الأرامل والأيتام)

اهتم السلاطين والأمراء في العصر المملوكي بالوقف للأيتام لتعليمهم والصرف عليهم، ويشير الكاتب محمد أمين إلى أنه قلما تخلو وثيقة وقف خيري من تخصيص جزء من ريع ذلك الوقف لتعليم عدد من الأطفال الأيتام.[61] حيث توجد وقفية أبو العباس زين الدين دلامة دار القران الكريم الدلامية، ونصت الوقفية أنه رتب فيها ستة أيتام مكانهم المكتب أعلى بابها وكل منهم له عشرة دراهم شهريا، وقرر لهم شيخا يعلمهم له من المعلوم ستون درهما في كل شهر ولكل من هؤلاء الأيتام جبة قطنية وقميص ومنديل.[62]

وأما وقفية طارق حارثة بن عبد الله من أوقاف القدس الشريف المؤرخة سنة 763هـ/1361م، فقد نصت هذه الوقفية أن يصرف من ريعها على عشرة أيتام من المسلمين لكل واحد منهم في كل يوم ثلث رطل خبز بالدمشقي وربع درهم فضة كما يصرف لكل منهم كل ستة أشهر كسوة كاملة وهي قميص ولباس ومداس وقبع وملوطة "وهي رداء يشبه العباءة أو فروة" ويصرف لمعلمهم ما يراه ناظر الوقف.[63] كذلك هناك وقفية حسام الدين أبو محمد الحسن بن ناصري على مدرسته بالقدس الشريف، ونصت هذه الوقفية أن يصرف منها لعشرة أيتام يدرسون داخل المدرسة المذكورة القران الكريم على يدي فقيه خاص له في الشهر ثلاثون درهما، ويصرف لكل واحد من هؤلاء الأيتام في كل شهر سبعة دراهم ونصف بالإضافة لنصف رطل خبز.[64]

وكذلك وقفية عبد الباسط على الخانقاة الباسطية بالقدس المؤرخة سنة 834هـ/1430م حيث نصت بأن يصرف منها على عشرة أيتام من أيتام المسلمين لكل يتيم منهم في الشهر خمسة عشر درهما، أما مؤدبهم فيصرف له في كل شهر خمسون درهما، على أن يعلم الأيتام المذكورين القران الكريم والخط العربي، ونصت الوقفية كذلك أن يصرف للأيتام في عيد الفطر من كل سنة برسم كسوتهم ثلاثون درهما لكل واحد منهم ويصرف منها كذلك على الفقراء والمساكين وذوي الحاجات والفاقة.[65]

فهذه نماذج من أوقاف الأيتام في بيت المقدس التي لعبت دورا اجتماعيا إنسانيا رائدا في المجتمع المقدسي الإسلامي وهذا يؤكد لنا أن ريع الأوقاف هو المصدر الأساسي والوحيد لغالبية مدارس ومكاتب

الأيتام في العصر المملوكي. وقد عني المماليك في بيت المقدس بالنساء الأرامل والقواعد والمطلقات والفقيرات اللاتي لا مؤوى لهن، وكانت المرافق الدينية كالمساجد والزوايا والخوانق مقرا لهن، ووقف أهل الخير من الميسورين على هذه الفئة الأوقاف لكي يصرف ريعها على خدمتهن وتوفير الحياة الكريمة لهن من مأكل ومشرب وملبس وخُصص من يقوم بخدمتهن وتوفير متطلباتهن. **ومن أمثلة عناية واهتمام المماليك بالأرامل والنساء:**

1. وقف الأمير تنكز على مدرسته في باب السلسلة بالقدس الذي وقفه على رباط النساء الذي أنشأه هناك سنة 730هـ/1329م وقفا يتألف من حكر خان، حمام قرب المدرسة، وحكاكين جوار المدرسة في سوق القطانين وحكاكين في أماكن مختلفة ومحصول قبان بجوار دار أبو شريف، وكلها بالقدس.[66]
2. وقف الشيخ برهان الدين إبراهيم ابن شريف المقدسي في سنة 916هـ/1510م والذي أوقف في تسعة حصص من قرية طيبة الاسم واثني عشر حصة من قرية نجم واثني عشر حصة وربعا حصة من قرية بيت نعم، وكلها من أعمال القدس بحيث يصرف من ريع هذا الوقف على الأرامل المنقطعات بالرباط المخصص لهن في مدينة بيت المقدس.[67]

الرعاية الصحية

كان للمماليك في بيت المقدس أثر رئيس في تقديم الرعاية الصحية، ومساعدة المرضى من الفقراء والمحتاجين فكثيرا ما وقف الأغنياء أموالهم وأملاكهم لإنشاء المستشفيات والدور الصحية لكي تقدم خدمات جليلة للمرضى تتمثل في علاجهم وإطعامهم ومتابعتهم، فعندما زار الرحالة ناصر خسروا فلسطين سنة 439هـ/1047م شاهد مستشفى في مدينة بيت المقدس ووصفه بالكبر والضخامة، فكتب يقول: "وفي مدينة القدس مستشفى عظيم عليه أوقاف طائلة ويصرف لمرضاه العديد من الأدوية وبه أطباء يأخذون رواتبهم من الوقف".[68] ولم تختف الخدمات الصحية، بل لم يتوقف عمل المستشفى في مدينة بيت المقدس عن تقديم خدماته الطبية حتى بعد سقوطها في يد الصليبين، فظل يقدم الخدمات العلاجية للمحتاجين.[69]

وقد كانت البيمارستانات هي مراكز تقديم الخدمات الصحية للمواطنين على مدى العصور الإسلامية. والبيمارستان: لفظة فارسية الأصل مُرَكّبة من كلمة "بيمار" وتعني مريض أو مُصاب، و"ستان" وتأتي بمعنى دار. وبهذا يكون معنى "بيمارستان" "دار المرضى"، واختُصِرَت فيما بعد في الاستعمال فأصبحت تُلفَظ "مارستان". وأُطلِقَت هذه اللفظة على المستشفيات في العصور الإسلامية وأخذت أحياناً تسمية أخرى، هي "دار الشفاء" وهي بمثابة المستشفيات العامة التي تعالج فيها جميع الأمراض الباطنية والجراحية والرَمَدِية والعقلية.[70]

وقد أقام صلاح الدين بيمارستاناً ببيت المقدس بعد أن حررها من الفرنج سنة 583هـ/1187م وسمي بمارستان الصلاحي ووقف عليه الأوقاف العديدة.[71] وبقي هذا البيمارستان يؤدي دوره في علاج المرضى.[72] وهذا ما يؤكد قول الرحالة الألماني لودولف الذي عاش في فلسطين مدة خمس سنوات 737هـ/ 1336م، فقال البيمارستان الذي في القدس بالقرب من كنيسة القيامة وقال أنّه يتسع لألف شخص.[73]

وعظم هذا الاهتمام بهذا المشفى في العصر المملوكي وبات يتولى فضلا من علاج المرضى وتأمين الدواء والتدريس وتدريب الأطباء وتخريجهم، ووجد إلى جانب الأطباء صيادلة يتولون تركيب الأدوية ويوزعونها مجانا على المرضى.[74] وكان العلاج في البيمارستان عاما يدخله الفقير والغني ويقيم فيه المرضى والفقراء وذوي الحاجات الخاصة والعاجزون، والمنقطعون من الرجال والنساء لمداواتهم، وتستمر أقاماتهم حتى برئهم وشفائهم، ويصرف لهم ما يلزمهم من الدواء ولم يفرق الواقفون بين مرضى البيمارستان، فقد كان العلاج مكفولا لجميع من يدخله أو يأتي إليه من سائر الناس أو غيرهم.[75] لذلك فقد كانت البيمارستانات من بين المؤسسات التي حظيت باهتمام ورعاية السلاطين وأهل الخير في الدولة المملوكية، كما كانت مراكز لتدريس العلوم الطبية، إلى جانب ما اختصت به من تقديم الرعاية الطبية والمعالجة والاستشفاء.

المرافق العامة: (الأسبلة والحمامات)

اهتم المماليك بالمنشئات الاجتماعية الخيرية التي أدت إلى خدمة جليلة للمجتمع الإسلامي كالأسبلة والحمامات. التي اهتم الكثيرون من أهل الخير بإنشائها أملا في مرضاة الله تعالى وطمعا في الاجر والثواب، ولتوفير مياه الشرب للمحتاجين وعابري السبيل لذا عمد الموسرون إلى بنائها وأوقفوا عليها الأوقاف التي تساعد على بقائها واستمرار الخدمة التي تؤديها.

الأسبلة: فالسبيل مشرب يقام في الأماكن العامة والأحياء وأركان المساجد والمدارس والخانقاوات والمقابر والأضرحة أو بالقرب منها.[76] وقد حرص الواقفون على عمارة السبيل وإصلاحه في الأزمنة المتعاقبة حتى بعد مماتهم ضمانا لاستمرار تأدية هذا الوقف لخدماته فأوصى أغلبهم في كتب وقفهم على تخصيص جزء من هذا الريع لعمليات الصلاح والترميم في السبيل إذا استدعي الأمر.[77] وكان سلاطين المماليك قد اعتنوا عناية كبيرة بتوفير مياه الشرب لأهل بيت المقدس، ومعظم الأسبلة التي أنشأت في المدينة وقد روعي فيها أن تكون على الطريق المؤدي لقبة الصخرة والمسجد الأقصى.[78] وقد تم أيام السلطان برسباي تجديد سبيل شعلان ببيت المقدس سنة 832هـ/1428م وهو السبيل الذي بناه الملك المعظم عيسى الأيوبي سنة 613هـ/1216م.[79]

ومن حسنات السلطان الملك الظاهر خشقدم عمارة قناة السبيل الواصلة إلى القدس الشريف من عين العرب وعمارة البركة الشرقية من بركتي المرجيع.[80] وكذلك أقيمت في بيت المقدس أبنية هامة في عصر السلطان الأشرف قايتباي سنة 877هـ/1472م حيث أن هذا السلطان أشرف بنفسه على تلك الأبنية التي أقامها ببيت المقدس، وهو الذي رمم جميع أقنية الماء في القدس وخارجها وبنى سبيلا هاما سجله باسمه، وهذا السبيل يقع في مقدمة سوق القطانين في المسجد الأقصى وسمي بسبيل "قايتباي".[81] وقد نصت الوثيقة رقم 22 من وثائق المتحف الإسلامي في القدس المؤرخة سنة 707هـ/1309 على وقف إحدى القرى من معاملة القدس يصرف ريعها على جامكية "راتب" الخطيب والمؤذن ومصالح السقاية في القدس الشريف، أما الوثيقة رقم 77 من وثائق المتحف الإسلامي فنصت على وقف عشرة حوانيت في سوق الليل معقودة بالحجر وارتفاعها ستة أذرع بالعمل ومعها بئر ماء وعمقها أربعون ذراعا وقفت على السقاية ولمنفعة المسلمين.[82] ومن هنا جاء حرص المسلمين في بيت المقدس ملوكا وأمراء على حفر الآبار كمورد رئيس وأساس لسقى الناس عن طريق إنشاء الأسبلة ووقفها.

الحمامات: حافظ المجتمع الإسلامي على إنشاء الحمامات التي يرتادها الناس من جميع الفئات رجالا ونساء للاستحمام، ولم يكن في بعض البيوت حمامات خاصة بسبب صعوبة نقل المياه إلى تلك البيوت لذلك تم بناء الحمامات العامة بما ينسجم مع العقيدة الإسلامية التي جعلت النظافة ركنا من أركان الإيمان.[83] وقد اهتم المماليك في بيت المقدس بهذا الجانب، حيث أنشأ الأمير تنكز الحسامي الذي تولى نيابة الشام أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون حمامين في مدينة بيت المقدس وقيسارية وأوصل إليهما الماء.[84] وقد أُوقفت بعض الحمامات على مرافق متعددة كالمساجد والمدارس والخانقاوات، ونذكر منها ما أوقفه الأمير عبد الله ابن عبد ربه ابن عبد الباري سنجر الدواداري الصالحي على الخانقاة الدويدارية في القدس سنة 695هـ/1295م وشمل هذا الوقف أماكن متعددة في بيت المقدس والشام منها قرية بيت نبالا قرب رام الله وقرية حجلا من أعمال أريحا ودار ومصنبة وستة حوانيت ووراقة وحمام ملكا في مدينة نابلس وثلاثة بساتين وثلاثة حوانيت في بيسان وقرية طبرس من أعمال قاقون.[85]

وقد كانت هذه الحمامات تقدم الخدمة مجانا وخاصة لعابري السبيل وطلاب العلم وغيرهم، وقد أشارت الوقفية رقم 46 تاريخ 747هـ من وثائق المتحف الإسلامي بالقدس أن حمام البترك أو البطرك كان وقفا على الخانقاة الصلاحية بالقدس، وقد استأجر هذا الحمام داود بن نصر وشقيقه أحمد بمبلغ ثلاثة عشر درهم فضة يوميا وعشرة دراهم أجرة الحمام وثلاثة ترصد لتنظيفه وقد دفع المستأجران القسط الأول وقدره ثلاثمائة درهم أجرة شهر كامل أما الباقي فيقسط ويدفع عند غروب شمس كل يوم.[86]

الخاتمة

هكذا نلحظ أن المسلمين حكاماً وإداريين وأفراداً اهتموا بأمر شؤون المدينة المقدسة خاصة في مجال الشؤون التي تخص المرافق الدينية في المسجد الأقصى وفي المجالات الأخرى كالتعليم والعمران والمجالات الاجتماعية والاقتصادية التي تعمل على تطوير بيت المقدس وتهتم بشؤون سكانها، وهذه أهم النتائج:

- كان المسجد الأقصى محل اهتمام سلاطين المماليك، من حيث الإعمار والانفاق عليه ومتابعة شؤونه وأوقافه.
- شهدت بيت المقدس وفود عدد من العلماء في مختلف مجالات العلوم النقلية والعقلية من مناطق العالم الإسلامي؛ الذين نقلوا العلوم من بلدانهم، وشاركوا العلماء المقدسيين نشر العلم والفكر.
- احتلت مدينة بيت المقدس مركزاً سامياً بين مراكز العلم والبحث في العالم الإسلامي قاطبة.
- أسهم سلاطين المماليك في تقدم الحياة الفكرية والثقافية من خلال تقديمهم الدعم اللازم في بناء المؤسسات الفكرية والثقافية والانفاق عليها، وشكل المسجد الأقصى النواة الأولى لها، فتنوعت مظاهر الفكر والثقافة فيه.
- أسهم المماليك في دعم الواقفين وتخصيص ريع وقفهم على الأرامل والمنقطعات والمطلقات وغيرهم من أهل الاحتياج والإنفاق عليهم وسد الثغرات الاقتصادية لهم.
- قامت الأوقاف بدور مميز عن طريق توفير الكتب وسائر المنشآت التعليمية، وذلك بإنشاء المكتبات العامة ودور العلم ونشر المطويات وغيرها.
- كان للأوقاف أثر كبير في ازدهار الدراسات والعلوم الطبية، مما أسهم فى أسباب هذه الازدهار، وما تصرفه الأوقاف من تقديم الرعاية الصحية للمرضى من الفقراء والمحتاجين وإنشاء المستشفيات والنهوض بعلم الطب وتعليمه.
- اهتمام الكثير من المماليك بإنشاء المنشآت الاجتماعية كالأسبلة والحمامات كسباً لمرضاة الله عز وجل وطمعاً في الأجر والثواب، وكي تؤدى خدمة جليلة للمجتمع.

الهوامش

[1] ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت711هـ/1311م)، **لسان العرب**، بيروت دار صادر، ط1، ج 9، ص359.

[2] المطرّزي: : ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن علي، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِيّ (ت: 610هـ)، **المغرب في ترتيب المعرب**، دار الكتاب العربي، ص492.

[3] ابن عابدين: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي (ت 1252هـ/1836م)، **حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان**، بيروت طبعة دار الفكر ،1421هـ، ج2، ص319.

[4] المصدر السابق ج2، ص276.

[5] ابن حجر: الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (– 528هـ/ 1133م) **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تح محمد عبد المعيد ضان، نشر مجلس دائرة المعارف، الهند، ط2، (1392هـ/1972م)، ج6، ص235.

[6] السرخسي: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت: 483هـ)، **المبسوط**، الناشر بيروت، دار المعرفة، ج12، ص28، الكاساني: أبو بكر مسعود بن أحمد الكاساني (ت 587هـ / 1191م)، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، بيروت ،دار الكتاب العربي ،1982م ، ج6، ص218.

[7] **القرطبي**: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (– 520هـ/ 1126م)، **المقدمات الممهدات**، تح: الدكتور محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي ،(1408 هـ / 1988 م)، 418/2، **الرُّعيني**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (ت: 954هـ)، **مواهب الجليل في شرح مختصر خليل**، دار الفكر، ط3،(1412هـ / 1992م)، ج6، ص18.

[8] الشيرازي: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (476هـ/ 1084م)، **التنبية في الفقه الشافعي**، الناشر: عالم الكتب، ص136.

[9] الكلوذاني: محفوظ بن أحمد بن الحسن، أبو الخطاب الكلوذاني، **الهداية على مذهب الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني**، تح: عبد اللطيف همبم – ماهر ياسين الفحل، ص334، ابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: 620هـ)، **المغني**، مكتبة القاهرة، ج6، ص3.

[10] ابن نجيم: زين الدين بن إبراهيم (ت970هـ / 1563م) **البحر الرائق شرح كنز الدقائق**، بيروت دار المعرفة، ط2 ، 1413هـ،ج5، ص209.

[11] ابن قدامة: **المغني**، ج6، ص3.

[12] الدارقطني: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (ت: 385هـ)، **سنن الدارقطني**، تح: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، بيروت: مؤسسة الرسالة،ط1، (1424 هـ / 2004 م)، ج5، ص119.

[13] الحن: الفقه المنهجي، ج2، ص216.

[14] الدهاس: **الوقف: مكانته وأهميته الحضارية**، ص27.

[15] الحن: **الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي**، على الشربجي، مصطفى البغا ، ج2، ص 216.

[16] المرجع السابق، ج2، ص 216.

[17] مسلم: الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت261هـ / 874م)، **صحيح مسلم**، بيروت دار إحياء التراث العربي، تح، محمد فؤاد عبد الباقي، ج5، ص73، ح4310.

[18] الدهلوي: شاه ولي الله (1176هـ/1762م)، **حجة الله البالغة**، تح، سيد سابق، بيروت دار الجيل، ط1، (1426 هـ/ 2005م)، ج1، ص 668، الحن: **الفقه المنهجي**، ج2، ص 216.

[19] النويري، شهاب الدين أحمد(ت: 732هـ/1332م)، **نهاية الإرب في فنون الأدب**، القاهرة ،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، د.ط ،د.ت، ج3 ص23. المقريزي: تقي الدين أبي العباس أحمد بن على (ت: 845هـ / 1441م) **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تح، محمد عبد القادر عطا، بيروت ، دار الكتب العلمية، ج1، قسم 2، ص445.

[20] ابن شداد، عز الدين محمد بن على بن ابراهيم(– 684هـ / 1250م)"**الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**"، **تاريخ لبنان والأردن وفلسطين**، تح سامي الدهان، دمشق منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ، 1963م، ص237. عبد الجليل عبد المهدي، **الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى**، ص71. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14 ص164.

[21] المقريزي: **السلوك**، ج1، قسم2، ص521، غوانمة، يوسف، **تاريخ نيابة القدس في العهد المملوكي**، دار الحياة للنشر والتوزيع، الزرقاء: يوسف حسن ، تاريخ، 1982م، ص110.

[22] ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي(ت 874هـ / 1469م) **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، نشر وزارة الثقافة، مصر د،ط، ج7، ص109.

[23] غوانمة، **تاريخ نيابة بيت المقدس**، ص109.

[24] غوانمة: يوسف، **الوظيفة الاجتماعية للوقف في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي**، مؤتمر الدول السابع بلاد الشام الأوقاف، ص13.

25 الحنبلي: مجير الدين العليمي (927هـ/1520م) **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، تح، عدنان يونس عبد المجيد نباتة، عمان مكتبة دنيس،د.ط،(1420هـ/1999م)، ج2، ص345.

26 المصدر السابق ج2، ص89.

27 عبد المهدي: عبد الجليل حسن، **المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي ودورها في الحركة الفكري**، ،نشر مكتبة الأقصى، عمان، الأردن،(1401هـ/1981م)، ج2 ص142. السيوطي: **نعم العقيان**، ص148.

28 الحنبلي: **الأنس الجليل** ، ج2 ص97.

29 ابن حجر: **الدرر الكامنة**، ج4، ص217.

30 الحنبلي: **الأنس الجليل**، ج2 ص94. كرد علي: محمد، **خطط الشام**، بيروت، 1971م ج6 ص66.

31 السخاوي: عبد الرحمن شمس الدين (ت 912هـ / 1496م) ، التبر المسبوك ،ط 1 ، دار الجيل ، بيروت ، 1992م . "**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**"، القاهرة، 1936م، د.ط، د.ن، ج3 ص267.

32 الحنبلي: **الأنس الجليل**، ج2 ص186.

33 المصدر السابق، ج2 ص186.

34 المصدر السابق، ج2 ص192.

35 السخاوي: **الضوء اللامع**، ج9 ص252.

36 بدران: عبد القادر(1346هـ/1927م)، **منادمة الأطلال**، تح، زهير الشاويش، بيروت نشر المكتب الإسلامي، ط2، 1985م، ج1 ص114، الحنبلي: **الأنس الجليل**، ج5 ص88.

37 العسلي: كامل، **معاهد العلم في بيت المقدس**، نشر بدعم من الجامعة الأردنية ،ص52. العارف: عارف، **المفصل في تاريخ القدس**، ط2، نشر مكتبة الأندلس في القدس (1406هـ /1986م)، ص24.

38 العسلي: **معاهد العلم**، ص511.

39 الحنبلي: **الأنس الجليل**، ج2، ص11-12.

40 العارف: **المفصل**، ص446.

41 الحنبلي: **الأنس الجليل**، ج2 ص252.

42 المصدر السابق، ج2 ص625.

43 المصدر السابق، ج2 ص260.

44 ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج1 ص38، العارف: **المفصل**، ص242.

45 العسلي، كامل، **من أثارنا في بيت المقدس**، جمعية عمال المطابع، عمان، 1982م، ص67.

46 حجي، حياة ناصر، **صور من الحضارة العربية الاسلامية في سلطنة المماليك**، دار القلم، الكويت، ط1، 1992م، ص15.

47 أمين، محمد محمد، **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر**(648هـ /1517م)، القاهرة دار النهضة العربية، (1401 هـ/ 1980م)، ص242، العسلي، كامل جميل، **الأوقاف والتعليم في القدس في أواخر القرن السادس حتى أوائل القرن الثاني عشر للهجرة**، عمان، مؤسسة آل البيت، بحوث الحضارة الاسلامية ص130.

48 أمين، **الأوقاف والحياة الاجتماعية**، ص240.

49 المقريزي: تقي الدين أبي العباس أحمد بن على (ت: 845هـ /1441م) **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، ج2، ص414.

50 ابن خلكان: أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ/1282م): **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، تح، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968م، ج4، ص142.

51 المرجع نفسه ص469.

52 الحنبلي، **الأنس الجليل**، ج2 ص43.

53 محمد كرد علي: **خطط الشام**، ج6 ص149.

54 السيد، علي، **مكتبات بيت المقدس في عصر سلاطين المماليك**، مجلة التربية جامعة قطر، ص163.

55 العارف، **المفصل**، ص451، العسلي، **معاهد العلم**، ص372.

56 عبد المهدي، **الحركة الفكرية**، ص265.

57 أمين، **الأوقاف والحياة الاجتماعية**، ص 235، الحنبلي: **الانس الجليل**، ج 2، ص33.

58 غوانمة، **القدس الشريف**، ص223.

59 العسلي: كامل، **معاهد العلم في بيت المقدس**، ص46.

60 العسلي: كامل، **الأعمال المقدسية الكاملة**، منشورات وزارة الثقافة عمان 2009م، ج1 ص35.

61 أمين: **الأوقاف والحياة الاجتماعية**، ص262.

62 النعيمي: عبد القادر بن محمد النعيمي (ت 978هـ/ 1570م)، **الدارس في تاريخ المدارس**، تح، إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ، ج2، ص8.

63 أبشربلي: محمد، **أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين**، تحقيق وتقديم، محمد أبشربلي، محمد داوود التميمي، مركز الابحاث للتاريخ، استانبول (1402هـ / 1982م)، ص26.

64 المرجع نفسه: ص29.

65 المرجع نفسه: ص38.

66 المرجع نفسه، ص27.

67 المرجع نفسه: ص38.

68 ناصر خسرو: ناصر، (ولد: 394هـ/1003م)، **سفرنامة**، ترجمة يحيى الخشاب، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت 1404هـ-1983م، ج1، ص57.

69 الحنبلي: **الأنس الجليل**، ج2، ص47.

70 ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج7 ، ص200.

71 ابن الأثير: محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني (ت630هـ/1232م)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، ط2، دار الكتب العليمة، بيروت،1995م، ج10، ص84. ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم (ت 697هـ / 1297م)، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تح، حسين محمد ربيع ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، 1972م، ج2، ص408، ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ج6، ص49.

72 ابن أبي أصيبعة: موفق الدين أبي العباس احمد بن القاسم بن حذيفة (ت668هـ/ 1269م) **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، 1 جزء ، تح، نزار رضا بدار مكتبة الحياة، بيروت، ج2 ، ص215.

73 فابري: **جولات الراهب فيلكس فابري ورحلاته**، وقع ضمن الموسوعة الشاملة في الحروب الصليبية، ترجمة سهيل زكار، ج40، ط1، دار الفكر، دمشق، 1998م، ج38 ، ق2، ص518. لودلف: **وصف الأرض المقدسة**، وقع ضمن الموسوعة الشاملة في الحروب الصليبية، ترجمة سهيل زكار، ج39، ط1، دار الفكر، دمشق، 1999م، ص360.

74 الحنبلي: **الأنس الجليل**، ج2، ص53، السخاوي: **الضوء اللامع**، ج7، ص17.

75 ابن دقمان: الجوهر الثمين، ص174. السيوطي: الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ / 1505م)، **تاريخ الخلفاء**، تح، محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، مطبعة السعادة، مصر، 1969م، ص460.

76 غالب: عبد الرحيم ، **موسوعة العمارة الإسلامية**، جروس برس، ط1، بيروت، (1981/1408م)، ص18. شعت: شوقي، **القدس الشريف**، شركة بابل، الرباط، 1988م، ص153.

77 الحسيني: محمود حامد، **الأسبلة العثمانية في القاهرة (1517–1798م)**، مكتبة مدبولى، القاهرة، 1988م، ص321.

78 ابن حجر: **الدرر الكامنة**، ج2، ص317.

79 المقريزي: **السلوك**، ج1، ص305.

80 الحنبلي: **الأنس الجليل**، ج2، ص99.

81 الحنبلي: **الأنس الجليل**، ج2، ص284.

82 غوانمة: **القدس الشريف**، ص163.

83 العزة: رئيسة عبد الفتاح، **نابلس في العصر المملوكي**، ط1، منشورات دار الفاروق، 1999م، ص163.

84 الكتبي: محمد بن شاكر بن أحمد (ت764هـ/1362م)، **فوات الوفيات**، تح، علي محمد بن يعوض الله وعادل بن عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م، ج2،ص263. الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ / 1071م)، **الوافي بالوافيات**، تح، أحمد الأرناؤوطي وتركي مصطفى، نشر دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ/2000م، ج10، ص226. العسلي: **آثارنا في بيت المقدس**، ص317.

85 الحنبلي: الانس، ج2، ص335. غوانمة: **القدس الشريف**، ص163.

86 غوانمة: **القدس الشريف**، ص209. العسلي: **آثارنا في بيت المقدس**، ص169.